

## الرمز الأخلاقي في تأويلات فيلون السكندري

أ. محمد محمود إبراهيم (\*)

### ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على بعض الرموز الأخلاقية في تأويلات فيلون السكندري، أحد أهم فلاسفة اليهود في مرحلة ما بعد أرسطو المتأخرة من تاريخ الفلسفة اليونانية، وطرحت الدراسة تساؤلاً محورياً هو: ما الرموز الأخلاقية التي تمثلت في تأويلات فيلون السكندري للنص التوراتي؟ ومن ثم تطرقت الدراسة إلى أهم مبادئ وآليات التأويل الرمزي عند فيلون، والتركيز على بعض التأويلات ذات العلاقة بموضوع الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الرمز - الأخلاق - التأويل - فيلون السكندري.

### Summary

This study aims to identify some moral symbols in the interpretations of Philo of Alexandria, one of the most important Jewish philosophers in the late post-Aristotle stage of the history of Greek philosophy. The study raised a central question: What are the moral symbols represented in Philo of Alexandria's interpretations of the biblical text? In addition to clarifying the most important principles and mechanisms of symbolic interpretation in Philon and focusing on some interpretations related to the subject of the study.

### مقدمة

يعتبر الفيلسوف الهلنستي فيلون السكندري (٢٠ ق.م - ٥٠ م) من أبرز الفلاسفة اليهود الذين اهتموا بدراسة النص التوراتي، وفق مبادئ وآليات معينة لتأويله، ولكن ما يميزه

(\*) باحث ماجستير بمعهد البحوث والدراسات العربية.

### وهذا التأويل الفيلوني يتأسس على عدة مبادئ منها:

**أولاً:** أن الشريعة والفلسفة هما المصدران الأساسيان في عملية التأويل فمنبع الفلسفة وحقائق الكتاب المقدس واحد وهو الله وكلاهما آى الشريعة الموسوية والفلسفة يقودان إلى معرفة الله، حيث طريق المعرفة الروحية لله يكون عبر بوابة الفلسفة.

**ثانياً:** ضرورة ألا يكون التأويل الرمزي سبباً للوصول إلى معنى يهدم أحد أركان الدين، وأن يحافظ على الشعائر والتقاليد الدينية للشريعة الموسوية<sup>(١)</sup>.

**ثالثاً:** الرمز الديني يخاطب العامة والخاصة بلغه رمزية مجازية وبالأمثال لتقريب الحقائق إلى أذهان الناس، فالعامة يفهمون من النص ظاهرة، أما الخاصة يرون في النص علامات ودلالات فيعملون على تأويلها للوصول إلى الحقائق الكامنة وراء الألفاظ والعبارات<sup>(٢)</sup>.

وباستقراء تأويلات فيلون السكندري سنرى انه اعتمد على قواعد وآليات معينه في تأويلاته الرمزية للنص التوراتي منها:

**أولاً:** تقسيمة للتأويل إلى ثلاث مستويات: التأويل الحرفي البسيط، والتأويل الحرفي ذي الغرض، والتأويل الرمزي، ويمثل التأويل الرمزي أساس التأويل عند فيلون وهو كائن حي له جسم وروح، فتأويل المعنى الحرفي السطحي يشبه الجسم ويمثله الأوامر والنواهي الحرفية، بينما المعنى الكامن والخفي في النص هو الروح، ومن ثم رؤية الأمور الخفية من خلال الأشياء المرئية<sup>(٣)</sup>، فكان عملية التأويل الرمزي تمثل قفزة أو وثبة تبدأ من المعنى السطحي للنص إلى الغوص في طبقات النص المتعددة للوصول إلى المعنى الباطني العميق المراد، بهدف الارتقاء بمعنى النص المادي إلى معنى يسمو ويتعالى على المعنى السطحي للنص.

**ثانياً:** التدليل بالنص الحرفي ثم تجاوزه إلى التأويل الرمزي للرد على التأويلات الأسطورية للتوراة لدى بعض السابقين عليه، ومثال ذلك تعمدهم الربط والتوحيد بين تضحية النبي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بابنه اسحق والأسطورة الإغريقية الخاصة بالتضحية بالأطفال، فأعتبر فيلون أن هذه التأويلات تمثل تأويل حرفي ساذج يجب تجاوزه إلى التأويل الرمزي<sup>(٤)</sup>.

(١) النشار، ١٩٩٥، صفحة ٥٨.

(٢) بريهيه، ١٩٥٤، صفحة ٢.

(٣) بريهيه، ١٩٥٤، صفحة ٨٤، ٩٨.

(٤) بريهيه، ١٩٥٤، الصفحات ٩٦-٩٧.

**ثالثاً:** الاعتماد على ثلاثة مصادر أساسية ساهمت في بلورة منهجه الرمزي في تأويل النصوص التوراتية وهي: الإلهام، والبحث الذاتي الاعتقادي والمأثور الذي يمثل التأويلات الرمزية السابقة عن فيلون، والذي أعاد استعمالها بنفس الدلالة والرمز كمرجعية لمنهجه التأويلي وبخاصة عند اليهودي أرسطوبول<sup>(١)</sup>.

## الرموز الأخلاقية في تأويلات فيلون

إن الموضوع الجوهرى في تأويلات فيلون، هو اكتشاف الرموز الأخلاقية والقصة الداخلية للروح، وتحويل أشخاص وأحداث التوراة التي لا يمكن تفسيرها إذا أخذت على معنى النص السطحي إلا بوصفهم انعكاساً لحالات النفس الداخلية، فسفر التكوين يعتبر رمزا للقلب وتبدل النفس الإنسانية من الحالة اللا أخلاقية إلى الحالة الأخلاقية أي حالات عدم اكتراثها بالأخلاق ونزوعها نحو الرذيلة ثم وصولها تدريجياً نحو الفضيلة والكمالات الإنسانية، فقصة الخلق تحكى عن كل مرحلة وحالة من هذه المراحل والحالات، وطبقاً لفيلون كل مرحلة ممثلة بشخصية من شخصيات التوراة ترمز إلى حالة أخلاقية من حالات ومراحل النفس الإنسانية، فأول (آدم) عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنفس أو العقل وهو لا إلى الفضيلة ولا إلى الرذيلة و(حواء) رمزاً للحس المادي واللذة و(الحية) كرمز للغواية، و(قاييل) كرمز للعجب، و(هابيل) كرمز للخير، و(أنوش) رمز للأمل والرجاء، و(إدريس) رمز للندم، و(نوح) رمزاً للعدالة والتطهر<sup>(٢)</sup> والنبي (إبراهيم) رمزاً للمعرفة و(يعقوب) رمزاً للمجاهدة والزهد الصوفي، و(إسحق) رمز للحكمة الفطرية الطبيعية وطريق الأنبياء الذي يحبه الله ويمنحه لمن يشاء من البشر<sup>(٣)</sup>، و(النبي موسى) مصدر كل الحكمة، أن فيلون السكندري يبحث في سفر التكوين عن القصة الكامنة وراء النص الظاهر. حواء التي تمثل الحس الغير عقلاى، أغوتها الحية، التي ترمز إلى اللذة للأكل من الشجرة، وجرت آدم، العنصر العقلاى، إلى الهلاك بنزوله إلى الأرض، وتلد النفس قاييل المعجب بذاته، فيقتل هابيل الذي يمثل الخير والمحب لله<sup>(٤)</sup> ليصور لنا القصة على غرار التراجم اليونانية في الصراع القائم بين العقل والحس والغواية والشر

(١) برييه، ١٩٥٤، صفحة ٧٣، ٧٦.

(٢) برييه، ١٩٥٤، صفحة ٦٩، ٧٠، ٧٧.

(٣) برييه، ١٩٨٨، صفحة ٢٥٢.

(4) T.Runia, 1990, pp. 1-18.

والخير، ورمزية المعرفة والمجاهدة الصوفية والفضيلة الطبيعية تمثل عند فيلون مصادر ثلاثة لمعرفة الله المؤدية للحكمة والكمالات الروحانية الإنسانية.

وفي تأويل فيلون لسفر التكوين الإصحاح الرابع الآية ١-٨ والذي يصف ولادة حواء لقابيل وهايل، رأى فيلون أن النفس الواحدة قد يكون لها رؤى ومعتقدات متعارضة ومتعادلة وتمثلها في قابيل وهايل، فالأول يمثل الذاتية والأنانية ويعتبر العقل البشري علة الواقع والخير، والثاني يمثل القناعة والمحبة لله ويؤمن أن الله عله الواقع والخير، فقابيل وهايل نموذجان للصراع بين الرؤى والمعتقدات فبينما يمثل هايل رمزاً للإيمان الديني الشرعي هو وذريته، يمثل قابيل القاتل رمزاً للإيمان اللاديني ولا شرعي هو وذريته، وقد استحق قابيل هذه الحالة بانقطاعه عن التقوى وحب الذات وابتغائه زوجة لم تكن له، وباعتقاده أن العقل هو مقياس كل الأشياء<sup>(١)</sup>. فهايل هنا هو رمز للفضيلة بينما قابيل يمثل رمزاً للذيلة بكل أبعادها الغير أخلاقية.

وحول ثنائية الروح / الجسد، رأى فيلون أن الروح قبل أن تنزل إلى الأرض وترتدي قميص الجسد كانت تتمتع بالكمال الأخلاقي لخلوها من المحسوسات، ولكن عند نزولها إلى الأرض وانحصارها في قميص الجسد المادي وبمرور الزمن، فقدت الروح نقاوتها، وهبطت كمالاتها الأخلاقية، وبالرغم من ذلك كانت الروح دائماً في حالة شوق وتعلق بشيء أعلى، فالجسد عند فيلون خطر على الروح لأنه يجرها إلى كل المتعلقات المادية وروابط الإحساس، والتي تقودها إلى الأغراء والرغبة في الاستمتاع الشهواني بكل ما هو حسي، وبالرغم من أنه يمثل ضرورة نفسية، لكنها شر من وجهه النظر الأخلاقية، ومن ثم يدمر الجسد الروح، فالجسد عند فيلون يعد رمزاً للأهواء والرغبات التي تؤدي إلى شر عظيم.

ورأى فيلون أن الإنسان يمر في تطوره الأخلاقي بعدة مراحل، تبدأ من حالة الكمون، وهي حالة من الحياد الأخلاقي أطلق عليها فيلون مصطلح «النوس العاري» أو «وسطى» إشارة إلى حالة الإنسان التي تكون لا إلى الفضيلة ولا إلى الخبيثة، ويسعى الإنسان في موقفه الوسطى هذا إلى التطلع إلى الفضيلة، فيقدم له الله الحكمة والفضيلة الأرضية كصورة للحكمة السماوية، لكن الإنسان سرعان ما يترك حالة الحيادية هذه بمجرد أن يلتقي بالمرأة ويرتمي

(1) Runia, 2010, pp. 113-129.

في أحضان الحياة الحسية حيث الشهوات والرغبات، والتي تكون موقظة للروح في البداية بفعل المثيرات والمذات الحسية، ولكن سرعان ما تضح حماسها ودوافعها غير العقلانية، ويعيش الإنسان حياة مضطربة ويدوم الإحساس بألم عظيم ناتج عن الفراغ الداخلي المستمر لرغبة وشهوة لا تشبع أبداً، وفي نهاية المطاف تؤدي الرغبة والشهوة إلى فساد الروح، وموت كل إحساس بالواجب، فذلك هو الموت الأخلاقي الناتج عن الجهل الذي يضع الأشياء الحسية فوق الروحانيات.

وفي تأويله أيضاً لسفر التكوين - الإصحاح الثاني - الآية ١٠-١٤ يؤول الأنهار الأربعة التي تخرج من «عدن» تأويلاً رمزياً، حيث الأنهار الأربعة ترمز إلى الفضائل الأربعة: نهر «فيشون» رمز التعقل، و«جيجون» رمز الرزانة وضبط النفس، و«دجلة» رمز الثبات والصمود، و«الفرات» رمز العدل، ليضيف إلى الأمكنة رمزاً أخلاقياً لقدسيته.

وفي تأويلات فيلون نرصد تأويلات لبعض الأعداد بوصفها رموزاً أخلاقية تمثل فضيلة، مستلهماً في ذلك فلسفة فيثاغورث فيؤول الرقم (١) بوصفه رقم الله شمس الشموس عله العلل والخير الأعظم (النشار، ١٩٩٥، صفحة ٦٢) والأساس لجميع الأرقام، الرقم (٢) هو رقم الانقسام، والذي تم إنشاؤه من الموت، الرقم (٣) رمز الجسد، الرقم (٤) رمز الشر، الرقم (٥) رمز الحواس الخمسة، الرقم (٩) هو عدد الفتنة، والعدد (١٠) هو رمز الكمال<sup>(١)</sup>.

ويؤول عبور البحر الأحمر على أنه رمزاً لخروج النفس من الحياة الحسية، والفصح رمز لترك النفس للجسم وشهواته، وشجرة الحياة تمثل أعلى الفضائل أي التقوى والتي بها يصير العقل خالداً واقتران النبي إبراهيم بسارة رمز الاتحاد بين الرجل الصالح والفضيلة<sup>(٢)</sup>.

ويؤول فيلون الأشياء المتعلقة بالنص التوراتي تأويلاً يجعلها رموزاً أخلاقية للحالة الداخلية للنفس، فيؤول: (التابوت) بوصفة رمزاً لفضائل الروح غير القابلة للفساد وأعمالها المرئية، و(آنية الشراب) الموضوع على المنضدة رمزاً للروح الكاملة التي تفتح ذاتها لله، و(زنبق الشمعدان) رمزاً للفصل بين الأشياء البشرية والإلهية، و(علو التابوت) كرمز لعظمة الروح التي تضحى وتقدم قرباناً، و(زيت المصباح) بوصفة رمزاً للحكمة<sup>(٣)</sup>.

(1) Howell, Carl Sigiefried, & Jacob Lauterbach.

(٢) النشار، ١٩٩٥، الصفحات ٥٩-٦٠.

(٣) برييه، ١٩٥٤، صفحة ٩٠.

## خاتمة

إذا افترضنا صحة النقل والترجمة عن فيلون يمكن القول أن الرمز الأخلاقي في تأويلات فيلون يمثل استعارة للفلسفة اليونانية، وكان واضحاً تأثيره في تأويلاته بها خاصة بأفلاطون في حديثه عن الروح والجسد فنظرية المثل حاضرة وبقوة في هذا التأويل، وبفيثاغورث في تأويله للأعداد، وبالرواقية في استعارته لرموزها من قبيل مجاهدة النفس والقناعة والزهد، فلا يجوز إطلاقاً تحميل النص التوراتي قبلات خاصة وإسقاطها عليه، من قبيل الأفكار الفلسفية والشخصية، وفي هذه التأويلات لا يوجد تماثل بين المرموز والمرموز إليه، فما العلاقة بين آدم والعقل؟ وبين حواء والإدراك الحسي؟ وبين نهر الفرات والعدل؟ لا يوجد سند في النص التوراتي أو واقع تاريخي يقول بذلك! عموماً الرمز الأخلاقي في تأويلاته قد ارتكز على بعض الفضائل والردائل الأساسية، فمن الفضائل: الحكمة، العدالة، الخير، مجاهدة النفس، الزهد، القناعة، الأيمان، الثبات والصمود، ضبط النفس، التقوى، الكمال، التضحية، ومن الردائل: الملذات الحسية، الغواية، العُجب، الشر، الأنانية وحب الذات، الشهوات، الأهواء، الفتنة، القتل، وتبدو أهمية هذه الرموز كونها تمثل البوصلة التي تحدد للفرد والمجتمع السلوكيات المرغوب فيها والسلوكيات غير المرغوب فيها، وروشتة لعلاج بعض الأمراض المجتمعية التي يكون سببها أخلاقي لا مادي.

## المراجع

١. برهية، ا. (١٩٨٨). تاريخ الفلسفة ج ٢. (ج. طرايشي، Trans). بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
٢. برييه، ا. (١٩٥٤). الآراء الدينية والفلسفية لفيلون السكندري. (م. ي. موسى & عبد الحليم النجار، Trans). القاهرة: وزارة المعارف العمومية - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباي.
٣. الجرجاني، ع. ب. (n.d). التعريفات. القاهرة: المطبعة الخيرية.
٤. زيدان، ي. (٢٠١٠، أكتوبر ١٦). المزيج السكندري البديع - اليهودية المسالمة. جريدة المصري اليوم.
٥. صليبا، ج. (١٩٨٤). المعجم الفلسفي. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
٦. النشار، م. (١٩٩٥). مدرسة الإسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية. القاهرة: دار المعارف.
7. Carrier, R. (2014). on the historicity of jesus sheffield. phonix press.
8. Howell, C., Carl Sigiegfried, & Jacob Lauterbach. (n.d.). Philo Judaeus. Retrieved from [www.jewish encyclopedia.com/articles/12116/philo-judaeus](http://www.jewish encyclopedia.com/articles/12116/philo-judaeus).
9. Runia, D. T. (2010). Dogma and Doxa in the allegorical writing of philo of Alexandria, Études platoniciennes. pp. 113-129. Retrieved from <https://journals.openedition.org/etudesplatoniciennes/629britannica.com/morl code>. (n.d.).
10. T.Runia, D. (1990). Philo Alexandrian and Jew, Idem, Exegesis and Philosophy: Studies on Philo of Alexandria. pp. 1-18.